

مؤتمر الفن والتراث الشعبي الفلسطيني الرابع

جامعة النجاح الوطنية- نابلس

يوم الاثنين الموافق: 2012/10/8

الحلي التقليدية المكملة للأزياء الشعبية الفلسطينية

ورقة مقدمة الى مؤتمر الفن والتراث الشعبي الفلسطيني الرابع والمنعقد في يوم الاثنين

الموافق: 2012/10/8.

جامعة النجاح - نابلس

إعداد الباحثين:

د.ميرفت عياش

رئيس قسم الفنون التطبيقية / جامعة النجاح الوطنية.

د. مها أحمد يحيى

مديرة مكتبة جامعة الاستقلال / أريحا

تشرين أول 2012

الحلي التقليدية المكملة للأزياء الفلسطينية

مقدمة

لكل امة تراث تفخر وتعتر به، فهو الجذر الذي يمتد في الماضي البعيد ليؤرخ للأمم امجادها العظيمة، وتعتبر الحاضر امتدادا للماضي. ويشكل التراث الصفة المميزة لكل امة عن غيرها.

ووطننا فلسطين الذي هو جزء من عالما العربي يمتلك تنوعا ثقافيا مميزا، لكنه يواجه تحديات كبرى ومتنوعة احدها الرئيس هو الاحتلال الذي يحاول جاهدا طمس معالمنا الثقافية وتراثنا المجيد.

وقد ورد ذكر كلمة تراث في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الفجر اية 16 في قوله تعالى " وتأكلون التراث أكلا لما" صدق الله العظيم. اما مشتقاتها فوردت كثيرة نوعا ما.

والتراث لغة: مأخوذ من الفعل ورث فنقول ورث فلان المال أي صار له المال.

والوارث صفة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذي يرث الارض ومن عليها.

اما التراث اصطلاحا: فهو كل ما ورثناه (أخذناه) ممن قبلنا سواء أكان معنويا كالنظم الاجتماعية، العادات، التقاليد... الخ أو حسيا كالاموال والمنقولات والازياء وغيرها. كقوله تعالى: " ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" صدق الله العظيم سورة فاطر اية 32 .

فالتراث هو امتداد السلف للخلف ونقطة انطلاق نحو المستقبل فهو الذاكرة الحية للفرد والمجتمع وبه يتم التعرف على هويته وانتمائه الى شعب من الشعوب.

وشعبنا الفلسطيني غني بتراثه الثقافي، وفلسطين ارض الديانات تخصصت بصناعة الاراضي المقدسة تلبية لحاجات حجاج هذه الاراضي.

ونحن في هذه الدراسة (الورقة البحثية) اردنا التعرف على جانب واحد من جوانب موروثنا الثقافي وهو " الحلي التقليدية المكملة للازياء الفلسطينية".

تكاد تكون الزينة والحلي، عالم المرأة لكل العصور فالزينة ظاهرة وممارسة قديمة، ارتبطت بحياة المرأة وطبيعتها أينما وجدت في مختلف العصور بسبب طبيعتها وتكونها الذاتي المجدول بحب الجمال، فالزينة هي صدى لتحقيق ذاتها وإشباع لغريزتها، لذا أصبح التزيين والتحلي حقاً من حقوقها وجزءاً من شخصيتها وسلوكها، وعملية تكميلية لجمالها وأنوثتها التي لا

تستطيع الاستغناء عنها، فنجد أنها منذ العصور البدائية وحتى عصرنا الحالي اعتادت تجميل نفسها بأبسط ما توفر لديها، ثم اجتهدت في ابتكار طرق ووسائل تضيفي إلى جمالها جمالا، منتقية بحسها وجمالها أجمل القطع وأبدعها تناسقاً لتكون قلادة أو قرطاً أو سواراً الخ... من أدوات ومكملات الزينة والملابس.

ولا يفوتنا أن لا نغفل ما ذكرته المصادر التاريخية إلى أن بعضاً من ضروب الزينة قد بدأت في استعمالها الأولى كطلاسم سحرية ترمي إلى استمالة قلوب ومشاعر المقربين من الالهل والزوج او المحب، أو كطلاسم وتعاويذ سحرية تحمي من يلبسها من الشر والحسد. فهذا الاعتقاد كان سائداً بين النساء لفترة ليست بقصيرة ما زالت آثاره تشكل قناعة عند بعضهن في المناطق البدائية والمتخلفة، إضافة إلى أن الزينة عند المرأة لها دوافع أخرى أهمها مبالغة في إظهار جمالها للمجتمع بشكل عام وللرجل بشكل خاص.

ولم يهمل الدين الإسلامي زينة المرأة بل أعطى هذا الجانب أهمية كبيرة لما له من علاقة بالمرأة والمجتمع والقيم الخلفية وتحمل الحرف والصناعات اليدوية في فلسطين أهمية خاصة بين مختلف القطاعات الانتاجية نظراً للبعدين التراثي والاقتصادي. ومن انواع الحرف الفلسطينية التقليدية هي حرفة الحلبي التي هي موضوع بحثنا في هذه الورقة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على الحلبي التقليدية المكملة للأزياء في فلسطين من حيث أشكالها ودلالاتها الرمزية والدينية والاجتماعية ، وذلك بهدف إلقاء الضوء على هذه الحرفة التي تكاد تكون قد اندثرت ، والوصول إلى المقترحات الضرورية لتطوير وإعادة إحياء هذه الحرفة.

مشكلة الدراسة:

تشهد صناعة الحلبي في الآونة الأخيرة إقبالاً كبيراً ويعود ذلك بسبب افتتاح الأسواق على الأسواق العالمية إضافة إلى حب جيل الشباب إلى التجميل من أجل إيجاد ورفع مستوى الاقتصاد وزيادة الإنتاج المحلي، إضافة إلى التطوير والتنمية. ودخول هذه العناصر الدخيلة والغريبة عليها

يجعلها عرضة للاندثار لذلك تحتاج هذه الحرفة إلى التعريف بالتراث الفني وأشكاله لهذه الحرفة، والعمل على نشرها وتطويرها وعدم طمس هويتها.

أشكال الحلي التقليدية الشعبية الفلسطينية المكملة للأزياء

تعتبر الحلي التقليدية شيئاً ضرورياً وأساسياً للمرأة في فلسطين لذلك تعرف الفلسطينية من خلال زخارف ثوبها ومن خلال ما ترتديه من حلي سواء كانت على اغطية الرأس وعلى الوجه وعلى الصدر وفي اليدين. هنا لا بد لنا من استعراض اهم الحلي التي استخدمتها المرأة في فلسطين لتكون الأجل (صورة رقم 1).

الحلي المرتبطة بأغطية الرأس والوجه

ومن مكملات الأزياء الشعبية التي استخدمت فيها الحلي أغطية الرأس، ونلاحظ زيادة الاهتمام بها لدى المرأة الفلسطينية كلما اتجهنا من الشمال الى الجنوب لان المرأة في الشمال وكما هو معروف تعمل في الارض جنباً الى جنب مع الرجل اكثر مما هو الحال في مناطق الوسط والجنوب، وهو من اسباب قلة ملاءمة ارتداء الحلي أثناء العمل بالمقارنة مع تنوع الحلي في مناطق الوسط والجنوب.

ومن اشكال الطواقي ما يلي:

أولاً: الوقاية (الوقاة او الصفة) (صورة رقم 2):

وسميت الوقاة لأنها تقي الرأس، كما سميت بالصفة لأنها تصف عليها العملات المعدنية من الذهب أو الفضة، وتلبس في المناطق الوسطى من فلسطين وبالتحديد في مدينتي رام الله والبيرة والقرى والمناطق المجاورة لها، وللوقاية شكل بيضاوي او دائري مجوف تستر عند لباسها الرأس من الجبهة الى العنق من الخلف بما في ذلك الاذنين احياناً، وأصبح من النادر مشاهدة نساء يلبسن الوقاة وان وجد فهي تلبسها النساء المسنات، لكنها مازالت تلبس في الأفراح والمناسبات، فتلبسها العروس أو تستقرضها، وتلبسها وتزين بها النساء من أقارب العروس أيضاً.

وتتكون الوقاية او الصفة مما يلي:

أ- **الشكّة:** وتسمى الصفة أو التنقيطة، وهي صفة العملات المعدنية وهي اما ذهبية او فضية، وكانت تغنى في الأغاني الشعبية:

ذهب مايدي ذهبوأصصف عاطاقية...

ومن هنا جاءت تسمية الصفة، لأن المرأة الفلسطينية كانت تصفُ العملة بجانب بعضها البعض على الطاقية.

وقد تكون اما منفصلة عن الوقاة او جزءاً منها ، وهي تغطي منطقة الرأس أعلى الجبهة وهي قطعة من القماش بعرض 2 سم وطول 45 سم ومطرزة على الداير وبداخل المساحة المتبقية من قطعة القماش، وتثبت على هذه القطعة قطع نقدية ذهبية او فضية بشكل صف من العملة بشكل متداخل، وهي من المشاري أو الخبريات أو ليرات العصلمي الذهبية. ويتراوح عددها ما بين 60-150 قطعة، وعددها منوط بالحالة المادية والوضع الاجتماعي لزوج المرأة واسرتها، فهي بمثابة مهر المرأة او العروس ويتوقف نوع القطع كأن تكون ذهبية او فضية على عمر الفتاة، فهي ان كانت غير متزوجة تكون القطع النقدية من الفضة، وان كانت متزوجة فتلبسها المرأة في المناسبات والافراح.

وفي الغالب يكون للمرأة المتزوجة وقايتان أو صفتان واحدة مزينة بالعملة الفضية تلبسها في الأيام العادية وأثناء اعمالها اليومية في المنزل أو خارج المنزل، وأخرى ذهبية عبارة عن مهرها وتلبسها وتزين بها في المناسبات والافراح.

ب- **رقعة الوقاية:** وهي من القماش القطني الخفيف عادة ما تكون من لون واحد سادة، ونوع القماش هو ما يستعمل عادة كبطانة للقنايبز وبعض الملابس الاخرى، وطول الرقعة عادة ما يكون 30سم وعرضها 25سم يطرز عليها عروق رفيعة عددها 14عرقا كل سبعة عروق تكون من شكل متجانس تطرز بشكل متتابع، وقد يفصل بين كل عرق وآخر جدلة وتتصل رقعة الوقاية من جهتها الامامية بالشكّة ومن جهتها الخلفية أي من الأسفل ويسمى من جهة العنق باللفاليف.

ج- **اللفاليف:** وهي عبارة عن قطع من القماش الطولية وعددها اثنتان، تكون سميكة وعرضها النهائي 5سم وطولها 12سم وظيفتها تثبيت اطراف الوقاية من الجهة السفلى بطريقة تعطي الطاقية الشكل المجوف، الذي يحتوي الرأس بشكل جميل ومرتب، وهناك حلقتان من الحديد

المثبت فوق طرفي اللفاليف كي تمر منهما اثناء ربطهما ومن ثم تتهدل اللفاليف على ظهر المرأة.

ثانيا: الشطوة (صورة رقم 3) :

وهي نوع آخر من الطواقي، وتستعمل بالتحديد في مناطق بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وقراها. والشطوة قريبة الشبه بالطربوش الرجالي، وهي تفصل على قدر رأس المرأة، وعادة ما يكون قطر طربوش الشطوة من اسفل 14سم ومن أعلى 8سم وارتفاعها 15سم وتتكون الشطوة من عدة طبقات من القماش التي تغطي الطربوش من الداخل والخارج، ويستعمل نوع سميك من القماش ليكون الهيكل الداخلي للشطوة كي تصبح صلبة وتبقى محافظة على شكلها لتتحمل ما سيوضع عليها من عملات معدنية، ولتتحمل أيضا عملية تثبيتها على الرأس.

والشطوة تتكون ممايلي:

أ- الحواة: عبارة عن قطعة قماش دائرية توضع على الجزء العلوي من الطربوش وتدرج عليه على الداير من اعلى.

ب- الجزء المخروطي من الطربوش: ويقسم السطح الخارجي من هذا الجزء الى قسمين امامي وخلفي. القسم الامامي حيث يثبت عليه اشربة حمراء من القماش توضع عليها شكة من العملات الذهبية او الفضية وهذه الاشربة توزع بانتظام على الجزء الامامي من الطربوش، وعددها يختلف حسب مهر المرأة والوضع الاقتصادي والاجتماعي لعائلتها. وقد يبلغ عدد العملات المعدنية في كل شريط ما بين 20-30 قطعة يتخلل بعض الصفوف قطع من الخرز الاحمر، اما الجزء الخلفي من الطربوش فيتم تثبيت قطعة قماش مطرزة بصفوف مستعرضة من اسفل ومن اعلى ومن الجوانب، كما ان هناك اضافات تزيينية تضيفها المرأة على الشطوة .

ج- الزناق: وهو عبارة عن خيط غليظ من القيطان او الحرير واحيانا من السنسال يتكون من جزأين كل جزء يمر من حلقة توضع في وسط الشطوة من اسفل بحيث يكون هناك حلقتان متقابلتان عند منطقة الأذن، وتوضع تحت الحلقات ما يعرف بالاذنية وهي عبارة عن قطعة قماش طولها 3سم وعرضها 1.5سم مطرز عليها ما يعرف بالحجابات ويربط هذه القيطان تحت

الذقن وتزينه المحنكة الذهبية او الفضية وهو الريال المثبت في الزنّاق اسفل الحنك ومهمته تثبيت الشطوة على الرأس.

وهناك نوع من الزنّاق على شكل سلاسل فضية سبعة متصلة ببعضها البعض تمتد من الاذن اليمنى الى الاذن اليسرى مارة باسفل الذقن وتزينه كذلك المحنكة التي ورد ذكرها سابقاً، وهذا النوع من السلاسل هو ما يعرف بسبعة ارواح ويلبس في المناسبات الخاصة مثل مناسبات الافراح.

والشطوة هي زي المرأة المتزوجة فقط، وكانت تنتشر في مناطق بيت لحم حتى العقد السادس من القرن العشرين.

وتحمل صفوف العملة المثبتة على الشطوة أسماء تتبع نوع العملة مثل: صف الليرات الذهبية أو الفضية، صف الرياع، صف النصاص، صف الرشادي، صف العصملي ... الخ، وهي تتكون في الغالب من أربعة أو خمسة صفوف من العملة المعدنية المخاطة على الشطوة، ويرتبط عدد الصفوف وعدد العملات في كل منها على غنى الزوج، وكلما كان الزوج أغنى إزداد عدد القطع من العملات وعدد الصفوف على الشطوة. وكانت قيمتها في عام 1939 يتراوح ما بين خمسة إلى سبعين جنيهاً فلسطينياً، أما بالنسبة لثقل الشطوة على رأس المرأة التي ترتديها فيبدو أنهن إعتدن على ثقلها لدرجة أن بعض النساء كن يعانين من صداع عند خلعها، وهناك من كان يدفن الشطوة مع صاحبته في التابوت، وهو دليل على مدى تعلق المرأة بها وحبها لها.

ثالثاً: العراقية (صورة رقم 4):

وهي نوع آخر من الطواقي تلبسها المرأة المتزوجة تنتشر في منطقة القدس والخليل. وتتكون من قماش قطني مطرز وتحلى بقطع عملة عثمانية كبيرة ومن الخلف توضع عملة أصغر ويثبتها تحت الذقن زنّاق ينتهي بقطعة ذهب تسمى خمسية او محنكة، ويتدلى من العراقية لفاليف توصل بنهاية الجدايل وهي معروفة من العصور الوسطى، وسبب تسميتها بالعراقية لأنها تمتص العرق وتأتي تحت غطاء الرأس كفاصل بينها وبين الشعر، وترتدي المرأة في القدس العراقية لأول مرة يوم زواجها بعد أن تكون جهزتها بالعملة التي حصلت عليها من المهر ونقوط العرس، وعراقية أهل الخليل كبيرة ومطرزة ذات قمة مدببة وطرفها مطرز بكثافة، وقد خيطة عليها الريالات الذهبية أو الفضية.

رابعاً: البرقع (صورة رقم 5):

وهو نقاب وجه المرأة تغطي به الوجه ما عدا العينين، وهو شائع في جنوب فلسطين في رفح وخانيونس ومنطقة بئر السبع، وعند البدو بوجه خاص (منطقة اريحا) منه المزخرف بالعملة المعدنية، ومنه نوع آخر عبارة عن قطعة حرير أسود او ابيض او ملون تغطي وجه المرأة . والبرقع يتكون من عقال يوضع على جبهة الرأس من الأمام ويشد ويربط على الرأس من الخلف، ويصنع من قماش يدوي مطرز بخيوط الحرير، وفي بعض الاحيان كان يزين بالقطع النقدية الفضية ويتصل بهذا العقال غطاء الوجه المصنوع من نسيج حريري بحيث يتم ترك فتحات للعينين، وينزل من العقال عدد من السلاسل الفضية، وأحياناً يكون هناك صفوف من الخرز الزجاجي الملون بالوان منها الازرق والاحمر والاصفر والبرتقالي، يتصل بينها انواع من الاحجار وتنتهي هذه الصفوف من الخرز والسلاسل بقطع نقدية او دوائر مسطحة او ماهو على شكل كف واصابع، وكل ذلك منوط بذوق المرأة بشكل خاص، والقطع النقدية التي تضاف الى البرقع هي عبارة عن مهر الفتاة وتضع الفتيات والنساء البدويات البراقع عند الرحيل من مكان لآخر، أو اذا دخل رجل غريب الى خيمتهن، ولا يضعن براقعهن داخل المضارب .

والبرقع له أهمية في مجتمعاتنا البدوية :

- يظهر الحشمة عند البلوغ، لان الفتاة غير مسموح ان تظهر وجهها أمام الذكور .
- البرقع يظهر ثراء وغنى العريس والوضع المادي والاجتماعي له، وكلما زاد عدد القطع النقدية الفضية على البرقع ظهر مدى غنى وثراء العريس او الزوج.
- البرقع يركز على الناحية الجمالية لانه يظهر فقط عيون المرأة البدوية المشهورة بجمال عيونها وبوضع الكحلة العربية التي تزيدها جمالاً.
- البرقع غالباً ما تضيف عليه المرأة عدة احجبة (حجابات) بحيث تكون مخيطة على غطاء الوجه وهناك دلالات مختلفة خاصة بها على سبيل المثال: اللون الازرق يوضع لرد العين

الشريعة ولحفظ النفس، وخرز المرجان يحفظ الارواح والانفس ويساعدها على تجاوز محنها، وخرز العنبر يحافظ على الصحة ويجعلها جيدة.

- كما ان الحجاب المعلق وسط البرقع شائع لدى النساء البدويات، وغالبا مايكون على شكل اسطوانة مجوفة يوضع بها حجابات بطلاسم سحرية، أو اوراق مكتوب عليها آيات قرآنية، هو شائع لجلب الحظ السعيد.

الحلي التي تزين بها منطقة الصدر:

هناك أنواع أخرى من الحلي التقليدية والتي تعتبر من مكملات الأزياء الشعبية اضافة إلى أغطية الرأس، والتي تعبر عن ذوق لابسها ومكانتها الاجتماعية ومدى غنى الزوج، وهذه الحلي هي:

أ- **القلاند ومفردها قلادة** (صورة رقم6): وهي عبارة عن عقد من الخرز أو الذهب تعلقها المرأة في عنقها وتتدلى على الصدر، والقلادة في التطريز تعني القبة المطرزة على منطقة الصدر. وكانت المرأة الفلسطينية تستخدم قلاند من حبات الكهرمان والمرجان وقطع من الخرز الملون بألوان مختلفة، وكان يعتقد أن للعنبر قدرة سحرية ضد العين الساحرة.

وقد تتخللها كرات او زردات من الفضة او يتدلى من وسطها قطع فضية كدلايات بأشكال مختلفة، منها ماهو على شكل دائري أو اجاصي أو مئمن، وكانت تحتوي على كلمات مثل الله، أو عبارات دينية، أو آيات قرآنية، وكانت تحتوي أيضا على رموز وطلاسم سحرية.

ب- **الكردان**(صورة رقم7): وهو عقد مصنوع من الذهب او الفضة بأشكال مختلفة، عبارة عن طوق يوضع حول الرقبة.

ج- **البغمة**: وهي كلمة تركية معناها قلادة نسائية.

د- **زناد الرقبة**(صورة رقم8): وهو عبارة عن شريط من القماش غالبا ما يكون باللون الأسود تتركب عليه قطع معدنية تتدلى منها قطع معدنية مستديرة أو على شكل كف أو أهلة وأحيانا تحتوي أيضا على خرز ملون بألوان مختلفة.

هـ- **الشعيرة**(صورة رقم9): هي عبارة عن عقد يتكون من قطع من الذهب، صغيرة تشبه حبة الشعير، تصف بجانب بعضها وتلتف حول الرقبة.

و- **عقد يعرف سبع أرواح** (صورة رقم10): وهو مجموعة من السلاسل من الفضة الرقيقة تتحدر من جانبي الشطوة (طربوش المرأة التلحمية) لتتدلى عند القبة المفتوحة على الصدر ومنها تتدلى قطع الفضة، وتتكون من سبع سلاسل، ومن هنا جاءت تسميتها سبع أرواح.

الحلي التي تزين الأيدي

وتتكون هذه الحلي الشعبية الفلسطينية والتي تزين أيدي المرأة مما يلي:

أ- **الأساور**(صورة رقم11): كانت المرأة الفلسطينية تزين الأيدي بأساور من الذهب والفضة أو الزجاج، وقد كان من ضمن تقاليد العرس الفلسطيني، أن العروس تختار من ضمن مهرها زوجاً من الأساور المتشابه تلبس كل واحد في يد أو الاثنتين معاً، وعادة ما يكون عليها الحرف الأول من اسم صائغها.

والأساور هي حلية لرسغ اليد من الذهب أو الفضة أو الزجاج، والزجاج منها يسمى غويشات. ومن أنواع الأساور حبيبات، اسوارة الحية، مبرومة، اسوارة رباح، اسوارة نصاص، سحبة، سليتات، دقة حنا، وهي نسبة إلى أشهر صائغ فضة مقدسي في أوائل القرن العشرين. وهناك أشكال مختلفة من الأساور ما بين رفيعة وعريضة عليها حبيبات من أشكالها اسوارة حبيبات كانت تملكها النساء الارستقراطيات فقط، وتلبسها في المناسبات الخاصة بالأفراح، وهي عبارة عن اسوارة فضية عريضة عليها نقوش مختلفة.

ب- الحلي التي تزين الاصابع:

مثل الخواتم والذبل المصنوعه من الذهب والفضة ومنها ما هو رفيع او غليظ ومزخرف باشكال مختلفة،وذلك حسب الحالة الاجتماعية والمادية للمرأة.

ج- **حلي تزين العضد:** وكانت تدعى دمالج وهي عبارة عن أساور عريضة تلبس في العضد.

الحلي التي تزين الساق

الخلخال(صورة رقم12): وهو عبارة عن اسوارة توضع في الساق تأخذها الفتاه من والديها عندما تكون في سن المراهقة غالباً ما يكون زوج من الخلاخيل، يلبس كل خلخال في ساق وهناك أشكال متعددة منها الخفيف ومنها الثقيل والذي يصدر عنه صوت كلما دقت المرأة رجلها في الأرض.

حلي تزين الأنف

الشناف(صورة رقم13): قرط على شكل حلقة معدنية من الذهب أو الفضة تثبت في الأنف لدى النساء البدويات، حيث يتم ثقب أنف الفتاة البدوية وهي صغيرة، ثم تضع الشناف عندما تتزوج.

حلي تزين الخصر(صورة رقم14)

الزنار: وهو سلسلة من الفضة او طوق فضي يحيط بخصر المرأة المدنية والمرأة القروية خاصة بمناسبة الأفراح. وفي الأيام العادية كانت المرأة الفلسطينية تلبس زنارا من القماش، وهو عبارة عن قطعة قماش حريرية مربعة يتم ثنيها عدة مرات وتلفها حول خصرها.

حلي تزين أطراف الشعر

وتتكون هذه الحلي من:

القرامل: ومفردها قرمول وهي عبارة عن وصلة من حبل أسود توضع في نهاية الجديلة تنتهي بشراشيب ذات نهايات متعددة في آخرها كرات معدنية غالباً من الفضة والقصد من هذه القرامل هو إطالة الجديلة وكشكل من أشكال تجميل الشعر، وبعض النساء كن يضعن ليرات ذهبية أو فضية في نهاية القرامل. ومن العادة أن يفك القرمول عند النوم.

مدلولات الزخارف في الحلي التقليدية الفلسطينية

تحتل الصناعات التقليدية في فلسطين اهمية خاصة بين مختلف القطاعات الانتاجية، نظرا للبعدين التراثي والاقتصادي الذين تمثلهما هذه الصناعة، فهي من جهة تعبر عن تاريخ وثقافة الشعب الفلسطيني، وتجسد وجوده على الارض عبر حضارات متواصلة. إن من أهم المدلولات الاجتماعية والتي تم ذكر بعضها سابقا، انها كانت مؤشراً على الوضع الاجتماعي للمرأة الفلسطينية من حيث غناها وغنى زوجها، فكانت هذه الحلي جزءا من مهر المرأة كما أنها كانت تزين بها لهدف الزينة وبهدف اظهار غنى زوجها وعائلتها، وكثيرا من هذه الحلي اعتادت المرأة على استعارتها في مناسبات اجتماعية متنوعة، خاصة في الأفراح.

إضافة إلى ذلك كانت الحلي تستخدم لفترة ليست بالقصيرة كطلاسم سحرية ترمي إلى استمالة قلوب ومشاعر الزوج أو المحب أو الأهل وتعتبر مجموعة الدكتور توفيق كنعان والتي أهديت إلى متحف جامعة بيرزيت (صورة رقم 15) خير مثال لهذه المعتقدات فمن هذه الحلي كان يستخدم لما يلي:

1. للحماية ضد القرينة، منها قطع تحتوي على مربعات ملأى بالرموز السحرية (صورة رقم).
2. كحماية عامة، منها ما هو على شكل حجب (صورة رقم 16).
3. منها ما كان لتسهيل الولادة.
4. ومنها ما كان على شكل نذر.
5. كحماية من الروح الشريرة.
6. كحماية من عين الحسود.
7. كحماية للأطفال ضد القرينة والجن.

كان لبعض أنواع الخرز ارتباط ببعض المعتقدات مثل:

- خرز المرجان يحفظ الأرواح والأنفس ويساعد في منع الحسد.
- خرز العنبر يجعل الصحة جيدة، والعنبر لوان لون أحمر ولون آخر أصفر (الكهرمان)، العنبر الأحمر يتم قطعه من شجر النخيل، والعنبر الأصفر (الكهرمان) يأتي من البحر، وشاع استخدام هذا النوع من الحجارة في مناطق جنوب فلسطين (صورة رقم 17).

واقع حرفة صناعة الحلي في فلسطين

في حين كانت صناعة الملابس والتطريز تقتصر على إبداع المرأة الفلسطينية ومهارتها في التطريز، اعتمدت صناعة الحلي على تفنن ومهارة الرجل بشكل أكبر. ويبدو أن النساء العربيات بشكل عام والفلسطينيات بشكل خاص، قد لجأن إلى عمل الحلي بأيديهن وكانت صناعاتها

مقتصرة على العذارى والتي أغلبها كانت في نظم اللؤلؤ والمرجان والعقيق الكهرمان والخرز الملون، وقد ورد في الشعر (قول النابغة):

أخذت العذارى عقدها فنظمتها من لؤلؤ متتابع متسرد.

أما الصناعات التي كانت على شيء من التعقيد فهناك محلات صاغة خاصة، يعمل بها الرجال، نظرا الى ما تحتاج اليه تحتاج النفخ في الكير، والطرق وصياغة المعادن والتي تحتاج إلى ورش وعدد ومهارات خاصة بالرجال، لم تكن معروفة لدى النساء في ذلك الوقت.

وتعود بداية الصناعات المعدنية بشكل عام وصناعة الحلي بشكل خاص إلى المهاجرين الأرمن، الذين استقروا في المدن الفلسطينية وهي: يافا والقدس ونابلس والناصره وعكا. وتعلم منهم أهل هذه المدن هذه الحرفة، وكانت الصناعات المعدنية تنتج الأدوات النحاسية والفضية والخناجر الذهبية والفضية المطعمة بالأحجار الكريمة والعاج، اضافة الى صناعة الحلي والمصوغات الذهبية. واشتهر من بين الصاغة في طول وعرض البلاد الصائغ الأرمني حنا من القدس، والذي اعتاد على نقش اسمه على القطع التي كان يصوغها، كما تردد اسمه ايضا في اغاني التراث الشعبي الفلسطيني، ويوجد حاليا في بيت لحم منشأة تعمل في تشكيل الفضة. وصناعة الحلي في فلسطين اشتهرت لدى بعض العائلات البدوية، فهي تأتي مقام المجوهرات للزينة لدى البدوية خاصة في منطقة أريحا.

التوصيات والمقترحات

من خلال النتائج المستخلصة وفي ضوء ما تقدم، يمكن وضع التوصيات والاقتراحات التي أسفرت الدراسة عنها:

1. التمسك بالتراث الفلسطيني والمحافظة عليه فهو جزء من اصالة شعبنا.
2. التأكيد على قيمة هذه الحرفة وأهميتها كجزء مكمل في الزي الشعبي التقليدي الفلسطيني.
3. تشكيل لجنة خبراء من وزارة الثقافة وفنانين مهتمين في جمع وتوثيق الزخارف الفنية للحلي التقليدية الفلسطينية.
4. أثبتت هذه الدراسة مدى أهمية وضع إستراتيجية واضحة في ضرورة نشر الوعي وخلق الثقة لدى جيل الشباب في استخدام الموروث الشعبي الفلسطيني بما فيه الحلي التقليدية.
5. ضرورة العمل على عقد ورشات عمل وزيارات ميدانية لقصص نجاح لأفراد استطاعوا أن يطوروا ويضيفوا على هذه الحرفة مع الحفاظ على هويتها الفلسطينية، أو قصص نجاح لدى دول نامية استطاعت أن تستغل صناعاتها التقليدية في مواجهة تحديات المنافسة العالمية في: أولاً زيادة ودعم وتنمية الاقتصاد. ثانياً ينبغي على وزارة الثقافة ومراكز الفنون توفير المعلومات حول مختلف أشكال الحلي التقليدية وجعلها متاحة أمام أصحاب الورش وتوضيح أهم المزايا وتقنيات المواد الخام وتكلفتها كيفية والحصول عليها.
6. ضرورة الاهتمام ببرامج التدريب للعاملين في حقول هذه الحرفة وخاصة لأن الكثير من العاملين يشعرون بوجود ضعف في استيعاب التكنولوجيا الحديثة في العدد والأدوات وكيفية ادخالها وتشغيلها لصالح أعمال الفنون التقليدية.
7. ضرورة اهتمام جامعاتنا الفلسطينية بالتراث الشعبي الفلسطيني وتخصيص مساق اجباري لكافة التخصصات لتعريف اجيالنا بالتراث الفلسطيني.
8. ضرورة ادخال الموروث الشعبي في مناهجنا الدراسية الفلسطينية كي يبقى التراث محفوراً في ذاكرة اجيالنا القادمة.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على انجاز هذه الورقة البحثية المتواضعة بعنوان " الحلّي التقليديّة المكملّة للأزياء الشعبيّة الفلسطينيّة".

من خلال هذه الورقة لا بد من القول: ان التراث الثقافي لأيّ مجتمع لا يقتصر على مجرد تاريخه وتسجيله فقط، وإنما يجب ان يسعى المجتمع إلى حمايته من الذوبان والانقراض وتفصيله ليكون أثراً ملموساً نحو تحقيق التنمية المستدامة.

فالتراث يمثّل ثروة حضاريّة للشعوب، فهو يعبر عن قيمها وأفكارها ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها، فالتراث روح الأمة الخالد، فلنعمل جاهدين وسويًا على التمسك بأصالة تراثنا الفلسطيني العميق، والمحافظة عليه، فهو التاريخ المادي والمرآة الحقيقيّة لشعبنا الفلسطيني الصامد.

ان الاهتمام بالتراث يساعد إنعاش الوضع الاقتصادي، وخاصة السياحة، وإيجاد فرص عمل لهذا الشباب العاطل عن العمل، ونحن أبناء هذا الشعب الفلسطيني نعاني هذا الوضع الاقتصادي السيء، فلا بد من تحسينه وتطويره.

وفي ختام ورقتنا البحثية هذه نقول انا وزميلتي: ان تراثنا الفلسطيني سرقه الإسرائيليون حيث لم يكتفوا بسرقة الأرض والإنسان حتى انهم سرقوا ثوب بيت لحم وسجلوه في الموسوعة العالمية بأنه ثوب إسرائيلي، فالمطلوب وقفة جادة من مؤسساتنا وإعلامنا لحماية هذا التراث وصونه من الاندثار والانقراض.

ونحن - بطبيعة الحال - نعتز ونفتخر عندما نتحدث عن تراثنا الفلسطيني العريق الذي صمد رغم محاولات التزييف من قبل الصهاينة على مدى سنوات طوال.

لم يتوقف الاندثار لتراثنا في الحلّي بل هناك موروثات شعبية انقرضت، فأين السراج " وسيلة الاضاءة بالزيت" الذي انقرض في عصر الكهرباء!؟

وأين الثوب الفلسطيني الذي ترتديه أجمل نساء العالم في أوروبا؟ والقطع الشعبيّة المطرزة تعلق في واجهات أفخم القصور، وأين إبريق الماء الفخاري والجرة؟ حيث لم يعودا وسيلة لحفظ الماء للشرب في عصر الثلجات والتبريد.

في الحقيقة مهما تحدثنا لن نفي تراثنا حقه، فلنعمل معا وسويًا للحفاظ على تراثنا الفلسطيني،

وصدقت الأغنية الشعبية الفلسطينية القائلة:

على دلعونا على دلعونا
فلسطين بلادي وأحلى ما يكونا
على دلعونا وعلى دلعونا
راحو الحبايب ما ودعونا
نتمنى لمؤتمركم التوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني حلي وتطريز، ط3. - القدس، 1994.
- 3- الاتجاهات المعاصرة في ادارة التراث الثقافي، القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الادارية، 2009.
- 4- البرغوثي، عبد اللطيف. القاموس العربي الشعبي الفلسطيني - اللهجة الفلسطينية الدارجة/ج2، البيرة: جمعية انعاش الاسرة، 1993.
- 5- سرحان، نمر. موسوعة الفلكلور الفلسطيني، ط2.
- 6- كنعان، شريف و حمدان، عمر و علقم، نبيل. الملابس الشعبية الفلسطينية، البيرة: لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني في جمعية انعاش الاسرة.
- 7- المعجم الوسيط، ط4. - القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2008.
- 8- الموسوعة الفلسطينية، ط1. - بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.

- 1- Kanaan, Tawfeeq. Arabic Magic Bowls, The Journal of the Palestine Oriental Society 1936.
- 2- Weir, Shelagh. Palestinian Costume, British Museum Press.